عندما يهرب لبنان إلى «صفقة القرن»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

كشفت "صفقة القرن" التي ليست سوى صفقة أميركية – إسرائيلية العجز الذي يعاني منه عرب كثيرون في مجال التصالح مع الحقيقة والواقع. المضحك المبكي أن لبنانيين كثيرين وضعوا أنفسهم في الواجهة في خدمة المشروع الإيراني الذي تاجر بالقضيّة الفلسطينية والقدس واستخدمهما غطاء من أجل قيام ميليشيات مذهبية مسلّحة عملت باستمرار على إيصال لبنان إلى ما وصل إليه. أي إلى حال من الإفلاس يرافقها تشكيل حكومة حسّان دياب التي لا علاقة لها لا بمشاكل لبنان ولا بما يدور في المنطقة.

«صفقة القرن» لن تمرّ لسبب في غاية البساطة. هذا السبب هو الهويّة الوطنية الفلسطينية التي لم تستطع إسرائيل القضاء عليها. بقيت هذه الوطنية حيّة على الرغم من كلّ الأخطاء التي ارتكبت منذ قرار التقسيم في العام 1947

للمرّة الألف، ليست "صفقة العصر" سوى ضوء أخضر أميركي من أجل متابعة اليمين الإسرائيلي عملية وضع اليد على الضفّة الغربية بما في ذلك غور الأردن، إضافة إلى القدس طبعا. كلّ ما في الأمر أن أميركا قرّرت، في عهد دونالد ترامب، خلق واقع جديد على الأرض يرفضه كلّ عاقل. هذا العاقل، أكان إسرائيليا أم أميركيا، يعرف أن خطة السلام التي طرحها الرئيس الأميركي لا علاقة لها بالسلام بمقدار ما أنّ لديها علاقة بتكريس الاحتلال الإسرائيلي للضفّة الغربية على أن تكون هناك في يوم من الأيام دولة فلسطينية غير قابلة للحياة.

سيتوجب على هذه الدولة الدوران في الفلك الإسرائيلي، تماما كما حال السلطة الوطنية اليوم التي ليس لديها ما تهدّد به سوى إلغاء كلّ الاتفاقات الموقّعة مع إسرائيل منذ توقيع اتفاق أوسلو في العام 1993. أيّ معنى لهذه السلطة العاجزة من دون التعاون الأمني القائم بين جهازها الأمني والأمن الإسرائيلي؟

هذا باختصار ما تعنيه "صفقة القرن" التي تمثّل رغبة لدى إدارة دونالد ترامب في استرضاء اليمين الإسرائيلي الذي بات يسيطر على مقدرات تلك الدولة التي أعلنها ديفيد بن غوريون في العام 1948. ما لم يقله دونالد ترامب قاله رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الذي تحدّث عن إسرائيل كـ"دولة يهودية" مع ما يعنيه ذلك من انعكاسات على وضع الفلسطينيين المقيمين داخل "الخط الأخضر" في إسرائيل، أي داخل حدود ما كانت عليه قبل حرب 1967. ليس سرّا أن اليمين الإسرائيلي يبحث عن طريقة للتخلّص من الفلسطينيين الذين يسمّون عرب إسرائيل من حاملي الجنسية الإسرائيلية. لكنّ السؤال الذي سيطرح نفسه عاجلا أم آجلا هو إلى أين يمكن لإسرائيل تهجير هؤلاء في وقت لم يعد سرّا أن النمو الديموغرافي ليس في مصلحة اليهود المقيمين في أرض فلسطين التاريخية.

لا يمكن تجاهل ما حصل في البيت الأبيض يوم الثلاثاء الماضي في الثامن والعشرين من كانون الثاني – يناير 2020. لا يمكن التصرّف بما يوحي أن الحدث لا يعني الفلسطينيين والعرب. هناك بكل بساطة حاجة إلى اتخاذ موقف واضح ممّا يجري. يتلخّص مثل هذا الموقف في السعي إلى التأثير في الأحداث من جهة ومحاولة التخفيف من الأضرار الناجمة عن الانحياز الأميركي الكامل لليمين الإسرائيلي ونظرياته التي لن تؤدي سوى إلى خدمة المشروع التوسّعي الإيراني الذي هو في خطورة المشروع اليميني الإسرائيلي في أقل تقدير.

الأكيد أن اتخاذ موقف لا يكون عبر إطلاق الشعارات الفارغة من نوع أن القدس عربيّة وأنّ فلسطين عربيّة لتبرير بقاء سلاح "حزب الله" غير الشرعي والحاجة إليه لبنانيا.

من سخريات القدر أن جماعة "التيار الوطني الحر" الذين يسميهم الناس "عونيين"، نسبة إلى رئيس الجمهورية ميشال عون، رفعوا فجأة رموزا فلسطينية مثل وضع الكوفية (الشال الفلسطيني) حول رقابهم. من يريد بالفعل مساعدة الفلسطينيين لا يتاجر بقضيّتهم، بل يسعى إلى مساعدتهم، أقله إنسانيا، حيث أمكن في انتظار يوم يوجد فيه حلّ ما يسمح لهم بالعيش في ظروف أفضل من تلك التي يعيشون فيها في مخيمات لبنان.

من يريد مساعدة الفلسطينيين، على الرغم من كلّ ما ارتكبوه في لبنان قبل العام 1982، لا يلجأ إلى اضطهادهم، خصوصا عبر استخدام لغة تنمّ عن أبشع أنواع العنصرية... والإعلان عن أنّه مع قضيتهم في الوقت ذاته!

لن تمرّ "صفقة القرن" لسبب في غاية البساطة. هذا السبب هو الهويّة الوطنية الفلسطينية التي لم تستطع إسرائيل القضاء عليها. بقيت هذه الوطنية حيّة على الرغم من كلّ الأخطاء التي ارتكبت منذ قرار التقسيم في العام 1947 وكلّ ما حصل من متاجرة بالقضيّة الفلسطينية على يد كثيرين. يمكن البدء بالاتحاد السوفياتي والانتهاء بإيران مرورا بطبيعة الحال بالنظام السوري الذي قتل من الفلسطينيين أكثر بكثير مما قتلت إسرائيل، إضافة إلى توريطهم في الوحول اللبنانية. يبقى ما حلّ بمخيّم اليرموك قرب دمشق خير دليل على الموقف الحقيقي للنظام السوري من الفلسطينيين عموما.

على من يريد من اللبنانيين مواجهة "صفقة القرن" بالفعل، أن يهتمّ بلبنان أوّلا وبمشاكله بدل إطلاق الشعارات الفارغة. هناك انهيار لبناني على كلّ صعيد. لا يمكن الهرب من هذا الانهيار إلى "صفقة القرن". كلّ ما في الأمر أن هذه الصفقة ليست سوى صيغة لتصفية القضية الفلسطينية التي تمرّ بظروف صعبة ومعقّدة في ظلّ غياب القيادة الواعية القادرة على اتخاذ قرارات تتجاوز مسألة التعاون الأمني مع إسرائيل.

لا يفيد الهرب اللبناني إلى "صفقة القرن" في شيء. على العكس من ذلك، يعطي هذا الهرب فكرة عن العجز اللبناني عن استيعاب عمق الأزمة اللبنانية التي جعلت المواطن العادي غير قادر على التصرّف بماله المودع في المصارف اللبنانية. أكثر من ذلك، لا مجال للتعويل على من لا يدرك خطورة ما يعنيه ما أصاب النظام المصرفي اللبناني. لا مجال أيضا للتعويل على من لا يستوعب معنى أن تكون إيران من يتباهى بامتلاك أكثرية في مجلس النواب اللبناني. هل من يريد أن يتذكّر تصريح قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني، الذي صُفّي أخيرا على يد الأميركيين، بعيد إعلان نتائج الانتخابات النيابية التي أجريت في السادس من أيّار – مايو 2018؟

باختصار شديد. الوضع اللبناني أسوأ بكثير مما يعتقد. ثمّة حاجة إلى تغيير كبير على أعلى مستوى. ثمّة حاجة إلى من يعرف تماما ما هي "صفقة القرن" وماذا تعنيه وأن إقحام لبنان نفسه في التصدّي لها بطريقة، أقل ما يمكن أن توصف به أنّها سخيفة، لن يفيده في شيء. على العكس من ذلك إن التذرّع بتلك الصفقة الأميركية – الإسرائيلية يؤكد المأزق اللبناني الذي لا خروج منه من دون امتلاك شجاعة ما. إنّها شجاعة الاعتراف بأنّ "سلاح حزب الله"، وريث السلاح الفلسطيني، في أساس كلّ هذا الانهيار!

صفقة القرن ومشاركة الطرف الثالث

عديد نصار
كاتب لبناني

هبط إعلان ما سمي بصفقة القرن، الذي أطلقه الرئيس الأميركي دونالد ترامب قبل أيام، على "محور المقاومة" كهدية من السماء. تلقفها جزارو الشعب الفلسطيني في مخيمات لبنان وسوريا بحرارة تفوق حرارة انتصاراتهم الإلهية في مدن وشعاب سوريا وفي زواريب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين من تل الزعتر إلى اليرموك.

الكوفية الفلسطينية زينة المناسبة يتلفعها أشد العنصريين اللبنانيين وقاحة وأوضعهم خطابا عدائيا ضد اللاجئين، فلسطينيين وسوريين.

وفي الوقت الذي يواصل فيه المحور عينه جريمة الإبادة الشاملة بحق الشعب السوري، شقيق ومحتضن الشعب الفلسطيني وقضيته على مدى ما يقارب القرن من الزمن، الجريمة التي يتابعها اليوم بشكل واسع في إدلب وغربي حلب، يمارس أزلامه وأنصاره حق الرد على صفقة ترامب – نتنياهو بحرق العلمين الأميركي والإسرائيلي في الساحات ويطلقون الهتافات والشعارات الفارغة، وكفى الله المؤمنين القتال!

محور الممانعة والمقاومة الذي يتزعمه نظام مافيا الملالي في طهران الذي يتباهى قادته العسكريون والسياسيون بمقدرتهم على إبادة الكيان الصهيوني الغاصب خلال دقائق متفاخرين بمشروعهم النووي ومقدراتهم الصاروخية وبميليشياتهم الطائفية وبسيطرتهم الموهومة على أربع عواصم عربية، هذا المحور هو في حقيقة الأمر الطرف الثالث في مشروع صفقة القرن الذي باتت وقائعه المادية أمرا واقعا قبل إعلانه إذ أن سيادة الاحتلال على المستوطنات التي تقطع أوصال الضفة الغربية وتحتل القسم الأكبر من غور الأردن وتتغلغل في جسم القدس ومحيطها وحصر التجمعات السكنية للفلسطينيين في ما تبقى من الضفة الغربية بجدران العزل العنصري لن يغيّرا من واقع الحال شيئا.

هذا المحور ذاته الذي جعل من قضية فلسطين وشعبها شماعة لأيديولوجيته شديدة الرجعية والتخلف ولممارساته الوحشية في بيئاته الشعبية، وغطاء لكل حروبه ومجازره وجرائمه التي حولت بلاد المشرق العربي إلى أطلال وشعوبها إلى مشردين ولاجئين، يتفوقون في المعاناة والبؤس والتشرد على الشعب الفلسطيني نفسه، هذا المحور الذي تغلغل في الجسم السياسي والكفاحي الفلسطيني فأسهم في تمزيق وحدته وعزز انقساماته الداخلية، لا يرى اليوم في صفقة ترامب – نتنياهو سوى ورقة إضافية من أوراق التوت لاستخدامها في تغطية قبحه وتمرير المزيد من جرائمه.

محور الممانعة والمقاومة، الذي رسم بدماء أهلنا طريق القدس الوهمية من بيروت إلى الزبداني إلى حلب.. لم يجد وقتا كافيا على مدى عقود من الزمن لصياغة ورقة واحدة، ولا أقول مشروعا متكاملا، بل ورقة للنقاش أو للمستقبل، تحمل أقله عناوين لما يمكن أن يسمى مشروعا لتحرير فلسطين يمكن أن يلتقي البعض حوله لنقاشه أو نقده قبولا أو رفضا أو إضافة أو تعديلا.

صفقة القرن ما كانت لتكون لو أنه قيض لشعوبنا أن تتحرر وأن تحقق سيادتها على أرضها ومواردها ومقدراتها، وهذا ما كان لنظام ملالي طهران وامتداداته الإقليمية الدور الأبرز في منعه حتى الآن، ما يجعلها الطرف الثالث فعليا في هذه الصفقة.

صفقة القرن ما كانت لتكون لو أنه قيض لشعوبنا أن تتحرر وأن تحقق سيادتها على أرضها ومواردها ومقدراتها، وهذا ما كان لنظام ملالي طهران وامتداداته الإقليمية الدور الأبرز في منعه حتى الآن، ما يجعلها الطرف الثالث فعليا في هذه الصفقة

صفقة القرن التي أعلنها الرئيس الأميركي ترامب بحضور رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وفي هذا التوقيت، هي في الآن نفسه ورقة انتخابية لإنقاذ الرجلين المهددين بالسقوط في الانتخابات القادمة في أميركا وفي الكيان الإسرائيلي بعد إجراءات عزل الأول في الكونغرس الأميركي وإجراءات محاكمة الثاني في قضايا فساد فور خروجه من السلطة. ولكنها في نفس الوقت تترجم حقيقة الانحدار الأخلاقي والسياسي الذي بلغته القوى المهيمنة على النظامين العالمي والإقليمي وتتوج المسار الانحداري للقضية الفلسطينية منذ أن تم الفصل اللامنهجي واللامسؤول بين قضية التحرر العربي وقضية تحرير فلسطين وصولا إلى حصر الهم الفلسطيني بقيادة فلسطينية أذعنت لمسيرة التفاوض على الحقوق بعد أن كال لها نظام الصمود والتصدي بقيادة حافظ الأسد وبرعاية أميركية وتحت أنظار إسرائيلية الضربات القاصمة في لبنان، وصولا إلى أوسلو وحل الدولتين.

حل الدولتين أوصلنا إلى صفقة القرن التي يراد منها، ليس حلا لقضية بل إنهاء لها من خلال مبادلة الحقوق التاريخية الثابته ببعض الرشى التي لن يجرؤ أحد مهما بلغ به التخاذل والخيانة على أن يعلن القبول بها. وبالتالي فلن تضيف شيئا في السياسة أو في الواقع.

القضية الفلسطينية ليس لها سوى حل واحد يحقق السلام للجميع ويعيد فلسطين إلى محيطها العربي قلبا نابضا ومركزا يسهم في تطوير بلادنا ويعيد إليها حيويتها ومقدرتها على التطور والتقدم، لذلك فكل العرب معنيون ومسؤولون عنه:

تفكيك الكيان العنصري والإقرار بحق العودة لجميع الفلسطينيين والتعويض لهم والوصول إلى دولة واحدة لجميع أبنائها المتساوين في الحقوق والواجبات أمام قانون واحد، فلسطين دولة ديمقراطية علمانية من البحر إلى النهر.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk